۱۶۶۳۹

مجلّه	الازهر
تاریخ نشر	رجب ۱۳۹۲ ق
شماره	۵ سال ۴۴
شماره مسلسل	
محلّ نشر	مصر
زبان	عربی
نویسنده	عبدالمنعم الادفوی
تعداد صفحات	۴۲۸-۴۲۳
موضوع سرفصلها	الاسراء والمعراج فی القرآن والسنة
کیفیّت	
ملاحظات	

الإسراء والمعراج في القرآن والسنة

للأستاذ عبد المنعم الإدفوى

ثبت الإسراء بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ، وثبت المعراج به عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس فالسموات السبع إلى سدرة المنتهى بالقرآن أيضا وبالسنة ، وقد ثبت صدق القرآن الكريم - وكله صادق بشهادة الواقع والتاريخ في كل ما تناول - في غيبيات كثيرة منها أنه حكم على بعض المشركين بأنهم سيموتون على الكفر ، قبل أن يلاقوا يومهم الذى يوعدون ، وذلك خلال فترة لا تقل عن ثلاثة عشر عاما ، وكان من اليسير أن يقروا في هذه الحقبة الطويلة بوحدانية الله ونبوة رسوله ، ولا يكلفهم هذا الإقرار ، سوى النطق بالشهادتين ، ولكن الله عليم بأنهم لن يسلموا ، وقد كان .

ومن هؤلاء المشركين - وما أكثرهم - أبو جهل والوليد المخزومى وأبو لهب وامرأته أم جميل والعاص بن وائل السهمى وأمية بن خلف والأخنس ابن شريق ، وعقبة بن أبى معيط والأسود ابن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى . وهناك آيات عديدة نزلت فيهم على أنهم من أهل النار ، في حين أن القرآن لم يتعرض لبعض المشركين يومئذ ، ومنهم أبو سفيان وخالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وغيرهم لأن الله تبارك وتعالى يعلم أنهم سيموتون على الإسلام ، وقد كان .

هكذا كان موقف القرآن الكريم من هؤلاء وهؤلاء في الحكم على مصائرهم مسبقا وغيبا ، فإذا جاء القرآن يثبت الإسراء برسول الله - صلى عليه وسلم - بالجسد حيث لا يبدو الإعجاز في الإسراء بالروح وحدها ، فإن ذلك سينتهى إلى حق يعلو على الجحود والنكران ويتأبى على الإفك والبهتان ويتسامى على الترهات والأباطيل .

وإلا فأى فرق بين إثبات الكفر للمشركين قبل أن يموتوا عليه بزمن طويل وبين الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم بالجسد مع أنهما أمران غيبيان .

يقول الحافظ بن كثير فى مؤلفه « تفسير القرآن العظيم » : إن الإسراء كان بالبدن والروح لأن قوله تعالى : «سبحان الذى أسرى بعبده» يعنى التسبيح وهو لا يكون إلا عند الأمور العظام ولو كان الإسراء مناماً لم يكن فيه كبير شىء . ولم يكن مستعظما ، ولما بادر كفار قريش إلى تكذيبه .. وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ... إلى أن يقول : وأيضا فإنه حمل على البراق وهو دابة ، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح .

إن تبليغ الرسالة أمانة تنوء بحملها السموات والأرض والجبال ، والرسول محتاج دائما إلى تأييد الله حتى يبلغها ، فإذا تعرض الرسول للتكذيب من جانب أعداء الله ، وإذا أصيب فى أعظم نصرائه ومؤيديه بوفاة عمه أبى طالب وزوجه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وإذا بذل كل طاقاته التى أمره الله أن يبذلها فى معالجة الصعاب ، وإذا أصبح اعتماده كله بعد ذلك على خالقه وحده دون من فى الأرض جميعا - تجلى الله له فأراه آياته الكبرى وأمده بفيوضاته ، وزوده بما به يبلغ الغاية فى أداء الأمانة التى كلفه بها ، ومن هنا كان الإسراء والمعراج تأييدا للرسول وتثبيتا لقلبه وجنانه ومشاعره وتجديدا لعزمه . كل ذلك فى إطار الحفاوة التى لم يحظ بمثلها رسول من قبل .

والإسراء والمعراج برسول الله ، وإعلانه فى وجه المشركين يكشف الفرق بين الرسول ومدعى الرسالة وبين النبى والمتنبىء ذلك أن الرسول يستهين بما يلقى وان انتهى ما يلقاه إلى السخرية والاستهزاء ، فهو صاحب رسالة لا مفر من أن يؤديها على الرغم من السخرية والاستهزاء ، وليس كذلك مدعى الرسالة أو المتنبىء لأنه غير مزود بمدد من الله يعينه على الصمود فى وجه معارضيه ، ولهذا يعمد كل منهما - مدعى الرسالة والمتنبىء -

إلى التخلى عن دعواه ، فور أن يتعرض للسخرية والاستهزاء ، طلبا للسلامة والعافية ، وقد حدث ذلك للمتنبئين من بنى اسرائيل والعرب .

ولكن رسول الله الكريم محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، كان يعلم علم اليقين أو عين اليقين أن مشركى مكة وغيرهم لا يصدقون الإسراء والمعراج به على أية صورة من الصور ، غير أنه لما كان ذلك الحادث حقيقة كبرى غدا عليهم صباحه ، فأخبرهم الخبر. فقال أكثر الناس : هذا والله الأمر المبين .. والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة .. أفيذهب محمد فى ليلة واحدة ، ويرجع إلى مكة .

بل إن الرسول ذهب إلى أكثر من هذا ، إذ حلف على أن يحدث قريشا بمسراه ، وليصدق من يصدق ويكذب من يكذب .

روى عن أم هانئ بنت أبى طالب فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول : ما أسرى برسول الله عليه الصلاة والسلام إلا وهو فى بيتى . . نائم عندى تلك الليلة فى بيتى ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا — أيقظنا — رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال :

يا أم هانئ : لقد صليت بكم العشاء الآخرة ، كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه .

ثم قد صليت صلاة الغداة معكم كما ترين ثم قام - والرواية لأم هانئ - ليخرج فأخذته بطرف ردائه فتكشف عن بطنه كأنه قبطية مطوية ، فقلت له يانبى الله : لا تحدث بهذا الحديث الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ، قال : والله لأحدثنموه - فقلت لجارية لى حبشية اتبعى محمداً رسول الله حتى تسمعى مما يقول للناس ، وما يقولون له ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس ، أخبرهم فعجبوا !

وإلى هنا كان لابد أن يطلبوا منه البرهان ، قالوا : ما آية ذلك ياحمد .؟

فإنا لم نسمع بمثل هذا قط .. قال : إن من آية ما أقول لكم إنى مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا ، قد أضلوا بعيراً لهم فجمعه فلان . . وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك البعير الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولو كان الوضع على غير ما قال الرسول لسارع المشركون إلى تكذيبه، ووجدوها فرصة يهتبلونها للتشنيع عليه بين جميع الناس ، ولملأوا عليه الدنيا ضجيجا وتشويشا ، ولكنه الرسول الصادق المصدوق الذى لم يكذب حياته البتة على الناس ، وهم لا يملكون له نفعا ولا ضرا، فكيف يكذب على الله الذى يملك وحده الضر والنفع والذى اصطفاه لحمل أعظم رسالة فى الأرض .

على أن الأمر أبعد من هذا، وهو أن الله تبارك وتعالى هو الذى أسرى برسوله جسدا وروحا لأنه قال أسرى بعبده كما سبق ، فالقضية لا تقبل التكذيب ، لأنها صادرة عن الله ومن أصدق من الله حديثا .

ثم إن الله تبارك وتعالى الذى حاط رسوله بعنايته وكلأه برعايته لم يترك سبيلا للمتعجبين عن سراه ، فقد ظن المنكرون أن حادث الإسراء كفيل بأن يزلزل إيمان أبى بكر ، فكيف بغيره ، فقد ذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا له:

هل لك يا أبا بكر فى صاحبك يزعم أنه قد جاء الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ، فقال لهم أبو بكر لعلنا كذلك إنكم تكذبون عليه، فقالوا بلى ها هو ذا فى المسجد يحدث الناس به ؛ فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك ؛ فوالله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار ؛ فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال يا نبى الله : أحدثت هؤلاء القوم : أنك أتيت بيت المقدس

هذه الليلة ، قال : نعم ، قال : يانبى الله نصفه لى فإنى قد جئته ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فرفع لى حتى نظرت له ؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبى بكر ويقول أبو بكر : صدقت؛ أشهد أنك رسول الله ؛ كلما وصف له منه شيئا قال : صدقت .. أشهد أنك رسول الله حتى انتهى .

وقد حاول أبو جهل أن يتخذ من حادث الإسراء موضعاً للسخرية بالرسول ، فقد مر به وجلس إليه، وقال هل كان من شيء ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم، قال : وماهو ؟ قال إنى أسرى بى الليلة ، قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، وهنا لم يرد أبو جهل أن يكذب الرسول مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه ـ هكذا فكر أبو جهل بعقلية أصحاب الأفئدة الهواء ـ قال عدو الله : أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم، قال : هيا معشر بنى كعب بن لؤى قال : فانتفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما: قال: حدث قومك بما حدثتنى به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أسرى بى الليلة فقالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم، وتستطيع أن تنعت لنا المسجد وفى القوم من رآه ؟ فلما نعته الرسول .. قال القوم أما النعت ؛ فوالله لقد أصاب ، إذاً فماذا بقى حتى يؤمنوا ، إنها المكابرة وإنه الإصرار على الكفر .

(المعـــراج)

وأما المعراج بالرسول من بيت المقدس إلى السموات السبع ، ثم إلى سدرة المنتهى فقد ورد كما يقول « صاحب نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين» فى صحيح السنة وأصح أحاديثه مارواه الشيخان ـ البخارى ومسلم ـ ونقله القاضى عياض فى شفائه ـ كتابه ـ عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيت البراق، وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ـ بصره ـ حتى أتيت بيت المقدس ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فأتانى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن

فاخترت اللبن ، فقال جبريل : أخترت الفطرة ثم عرج بنا إلى السماء .

وقد روى المعراج عن بعض الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى بنص القرآن ، هذا بالإضافة إلى نصوص القرآن الواضحة الدلالة على المعراج .

وكان المعراج رحلة خير وبركة للمسلمين؛ إذ لقى فيها عليه الصلاة والسلام ترحيبا وحفاوة من الأنبياء ، والمرسلين فى كل سماء عبر الرحلة الميمونة ، رسولا اكتمل فى رسالته دين الله إلى الناس الذى جمع عقيدة التوحيد عقيدة المرسلين جميعا ، وشريعة يصلح عليها البشر ، وبذلك استحق الرسول أن يكون أول الرسل وخاتمهم وأن تكون أمته خير الأمم .

يقول العقاد فى مؤلفه «الله»: فالفكرة الإلهية فى الإسلام فكرة تامة لا يتغلب فيها جانب على جانب ، ولا تسمح بعارض من عوارض الشرك والمشابهة ، ولا تجعل لله مثيلا فى الحس ولا فى الضمير بل له المثل الأعلى ، وليس كمثله شىء . فالله واحد لا شريك له ، ولم يكن له شركاء فى الملك. فتعالى الله عما يشركون وسبحانه عما يشركون، والمسلمون هم الذين يقولون : ما كان لنا أن نشرك بالله، ولن نشرك بربنا أحداً .

وأنت تعلم أن القرآن الكريم مفعم بآيات التنزيه على نحو غير مسبوق فى الكتب السماوية الماضية ، ومن ذلك تدرك تمام الإدراك كيف كرم الله رسوله محمداً عليه السلام بالمعجزات ومنها الإسراء والمعراج .

ثم تأتى خاتمة المطاف ، فيكرم الله رسوله بفرض الصلاة التى هى عماد الدين من أقامها أقام الدين ومن هدمها هدم الدين ، وهى الصلة التى تربط العبد بربه وتشده إلى رحمته ، وهى التى تريح الإنسان من أثقال الحياة وغواشيها وهمومها وتطهره من أدرانها وأرجاسها وتوفر له الأمن والاستقرار والاطمئنان ، وصدق رسول الله حين كان يقول عند كل صلاة : أرحنا بها يا بلال ؟

عبد المنعم حسن الإدفوى

١٦٦٣٩